التجسّس

أساليبه، الوقاية منه، ومكافحته

رمضان لاوند

التجسّس

أساليبه، الوقاية منه، ومكافحته

.....

التجسّس في تاريخ الأمم هو فن الحصول على المعلومات التي يحتاج إليها المسؤولين في كل دولة من الدول لأغراض وقائية أو لأغراض هجومية وهو فن قديم قدم الإنسان عبرت عنه الحاجة إلى حماية النفس من الغرباء الذين لا يطمئن إليهم أو الأعداء الذين يتربصون الدوائر بالوطن.

من أجل ذلك نجد ظاهرة التجسّس منتشرة ومتعارفاً عليها في كل بلد من البلدان وعند كل شعب من الشعوب.. في البلدان الصغيرة والقبائل البدائية المعزولة عن العالم المتحضر كما نجدها في البلدان الكثيرة والأمم المتقدمة في عالم الحضارة.

ومن أجل ذلك يمكن أن نقول: إنّ هذا الفن من فنون النشاط الإنساني هو جزء من التراث البشري القديم الذي رافق ولا يزال جملة الإجراءات والأنشطة التي يتخذها الإنسان رداً لعدوان ودفاعاً عن الحرية والسيادة الوطنية أو سعياً إلى الحصول على معلومات ذات أهمية خاصة للخطط الإنمائية في البلاد أو لتحصين البلاد من مفاجآت المستقبل.

التجسّس في الإسلام:

الثابت أنّ التجسّس الذي يجري بين المسلمين أنفسهم لأغراض خاصة مهما تكن طبيعتها هو حرام بنطق واضح صريح من القرآن الكريم فقد جاء فيه قوله عز وجل: " وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا ".. فالتجسّس إذاً في أخلاقيات القرآن محرم تحريماً قاطعاً وذلك لأنّ القاعدة الخلقية المعتمدة في الإسلام هي الأخذ بالظاهرة على أساس أنّ الله عز وجل هو الذي يتولى المواطن وأسرار النفوس البشرية.

لكن التجسّس لا يلبث أن يصبح مشروعاً إذا دعت إليه مصلحة المسلمين العامة، والجهة إلى تقرر مشروعية التجسّس هي التي تتولى مسؤولية الدفاع عن الدين والحفاظ على مصالح المسلمين العامة، ولا يمكن تحديد كل الظروف المادية والحالات التي تستوجب القيام بعملية التجسّس.

تم تحميل هذا الملف من مكتبة الأديب الراحل رمضان عبدالرحمن لاوند (سيّد المنابر) www.RamadanLawand.com
مع الاحتفاظ بكامل حقوق الطبع و الملكية الفكرية ،لمزيد من المعلومات يرجى مراسلتنا :info@RamadanLawand.com

ثم يصبح التجسّس مطلباً وطنياً أساسياً حين تتعرض البلاد في أنّ ميدان من ميادين حياتها العامة لخطر مرتقب من الخارج.

والجدير بالذكر أنّ الجاسوسية الخارجية قد ظهرت بصورة رسمية منذ العام الأول من أعوام الهجرة النبوية إلى المدينة المنورة، فقد كان يوم "نخلة" الذي انتدب فيه عدد من صحابة الرسول صلى الله عليه وسلم للاستطلاع والتعرف إلى أخبار قريش من قبيل التجسّس الرسمي الوفائي للتعرف إلى أخبار العدو.

وقد جاء في ص 43 من كتاب "فن الحرب" لبسام العسلي أنّ الجاسوسية عند العرب المسلمين، حتى نهاية العهد الأموي، كانت تهدف إلى جمع المعلومات الضرورية عن العدو لسلامة الدولة والحفاظ على الأمن والاعتماد على العناصر الأربعة التالية:

1) عناصر الاستطلاع ومفارز الاستطلاع.
2) الجواسيس وكانوا يطلقون عليهم اسم العيون أو "عيون القائد"..
3) الأنصار.
4) الأسرى.

ولما كان غرضنا هو الاهتمام بالجاسوسية كفن وخطة عمل دون غيرها من مصادر المعلومات فإنّا نختصر في هذا الفصل على بحث ظاهرة التجسّس الممثلة فيمن يطلق عليهم اسم " العيون "..

العيون عند المسلمين:

أوصى الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه قائده سعد بن أبي وقاص في معركة القادسية بما يلي:

"وإذا وطئت أرض العدو فأذك العيون بينك وبينهم، ولا يخف عليك أمرهم، وليكن عندك من العرب أو من أهل الأرض من تطمئن إلى نصحه وصدقه، فإن الكذوب لا ينفعك خبره وإن صدقك في بعضه، والغاش عين عليك وليس عينًا لك.." [1]

والجدير بالذكر أنّ الرسالة التي كتبها عبد الحميد الكاتب الأديب الأموي[2] باسم الخليفة الأموي مروان بن محمد إلى ولده عبد الله يوم توجه لمقاتلة الضحاك بن قيس الشيباني الخارجي، هي من عيون الرسائل التوجيهية التي تتصل بفنون القيادة بما في ذلك فن التجسّس، وقد كشفت عن ذكاء حاد وخبرة واسعة قبل أن نجدها في أداة تلك الفترة من التاريخ الإسلامي، ولما كانت هذه الرسالة مسهبة جداً تضيق استيعابها الصفحات المخصصة

[1] . العقد الفريد 40/1.

[2] . جمهرة رسائل العرب جزء 2 ص 500 فما بعدها.

لهذا الفصل سنقتصر على إيراد بعض النصوص الخاصة بظاهرة التجسّس التي هي جزء من اهتمامات القائد العسكري.

1) التحقق من صحة المعلومات التي ترفع إلى القائد بإحالتها إلى من يؤتمن عليها من المسؤولين.

2) إذكاء العيون على العدو بالتطلع (لعلم أحوالهم التي يتقلبون فيها ومنازلهم التي هم بها، ومطامعهم التي مدوا أعناقهم نحوها، وأنّ الأمور أدعى لهم إلى الصلح، وأقودها لرضاهم إلى العافية وأسهلها لاستنزال طاعتهم)..

3) الحذر من أن يعرف بعض العيون بعضاً فإنه لا يؤمن تواطؤهم على القائد ومحاولاتهم للعدو واجتماعهم على عشه وتعاطفهم على كذبه، كما أنه قد يورط بعضهم عند العدو تحت الضغط أو بسبب التعذيب.

4) الحذر من أن يعرف الجواسيس من قبل الجنود أو يشار إليهم بالأصابع ولذلك يجب أن يكون كاتب الرسالة وأمين السر هو وحده العارف بهم والموجه لهم والذي يدخل على القائد من يريد مشافهته منهم.

5) العلم بأنّ العدو في معسكر المسلمين عيوناً راصدة وجواسيس كامنة وأنّ العدو سيكابد المسلمين ويحتال لهم كما يكايدونه ويحتالون له.

6) يجب أن يعامل الجاسوس معاملة خاصة فتؤخذ معلوماته بحذر بسبب خطورة النتائج التي قد تترتب على العمل بمعلوماته، وتؤكد الرسالة أنّ لجواسيس والعيون قد يصدقون وقد يغشون وربما عملوا للمعسكرين المتعاديين في وقت معا بحيث يكونون عيناً لك منهما وعيناً عليه. وعلى ذلك فلا تجوز المبادرة إلى مقابة الواد منهم والأفضل هو استنزال نصائحهم بالعطاء والانفاق كما لا يجوز إفهامه أنك قد أخذت قوله أخذ العامل به والمتبع له.

7) قد يأتي الجاسوس بمعلومات خاطئة إما لتقادم الزمن عليها وحدوث أحداث جديدة وإما لتغيير مقصود يحدثه العدو، في هذه الحالة يجب على القائد ألا ينحى باللائمة على الجاسوس والتشدد في معاقبته فقد يخدع من قبل العدو وتحمل إليه أخبار مزيفة يقصد بها تضليل القيادة العسكرية الإسلامية.

أنواع المعلومات المطلوبة:

والواقع أنّ المعلومات التي يحتاج إليها المسؤولون لتدعيم السياسة الدفاعية والتوقي من المفاجآت قد اختلفت باختلاف طبيعة الحروب والموارد الاستراتيجية التي تعتمد عليها الدولة في الحفاظ على البلاد وفيما يلي نقدم خلاصة لأهم المعلومات والإجراءات المطلوبة قبل أن تظهر الحروب الشاملة في العصور الحديثة.

1)دراسة طبيعة الأرض التي تجري المعارك فوقها فقد روى عن بعضهم قوله، قتلت أرض جاهلها وقتل أرضاً عالمها، وكان الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه حريصاً على معرفة كل شيء يتصل بمواقع المسلمين

وأعدائهم، فكتب يوماً إلى سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه عندما نزل في القادسية يقول (صف لنا منازل المسلمين والبلد الذي بينكم وبين المدائن صفةً كأني أنظر إليها، واجعلني من أمركم على الجلية، وخفِ الله وارجُه، ولا تدل بشيء. ولا تعاجل عدوك المفاخرة ما لم تكره على ذلك حتى تبصر عورة عدوك ومقاتله وتعرف الأراضي كلها كمعرفة أهلها فتصنع بعدوك كصنعه بك)..

2) جمع المعلومات الخاصة بعدو الأعداء وكمية المؤونه عندهم وطبيعة القائد والعلاقة بينه وبين ضباطه وجنوده ورأي الناس فيهم جميعاً.

3) تنظيم نقاط المراقبة وتوزيع الإدارة على أصحابها وتدبير واجباتهم.. وقد كان المسلمون يطلقون على هذه النقاط اسم "المسالح" ومهمتها هي باختصار مراقبة العدو والإنذار باقترابه والانسحاب في الوقت المناسب والانضمام إلى كتلة الجيش الإسلامي وقد جرت العادة أن يكون جنود المراقبة من خبرة الفرسان المقاتلين.

4) يقابل هذه الإجراءات تكتم شديد من قبل القيادات الإسلامية، فإذا جاء رسول من قبل العدو فيجب إكرامه والإقلال من لبثه قدر المستطاع لكي يبقى جاهلاً بما في المعسكر الإسلامي. ومن الضروري أن يمر الرسول القادم بأقوى الجوانب في المعسكر وأكثرها ثروة وغنى بالسلاح والرجال والمؤونة.

المعلومات في العصر الحاضر:

والملاحظ أنّ الحروب الحديثة لم تعد بين جيشين منعزلين عن المدن والقرى وجمهور الشعب بل أصبحت حروباً شاملة بحيث لا يمكن استثناء منطقة من مناطق التراث الوطني واعتبارها آمنة من العدوان أو معزولة عن الجبهة القتالية المتحركة، والسبب في ذلك هو ظهور الأسلحة التي تستطيع أن تخترق الجبهات القتالية المباشرة فتصل إلى آخر شبر من أراضي البلاد المتقاتلة.

يضاف إلى ما سبق أنّ المصانع وأمكنة التخزين ومصادر الطاقة والأوضاع النفسية والاجتماعية لأفراد الشعب والظروف السياسية في البلاد وطبائع الحكام والمسؤولين وغيرها مما يتصل بالقدرات العامة في البلاد هي أجزاء ذات أهمية أساسية في تقرير مصير الحرب.

إنّ الطائرات المقاتلة والقاذفة والصواريخ ذات المدى القريب أو المتوسط والصواريخ العابرة للقارات هذه كلها قد ميزت الحروب الحديثة بظاهرة الشمول بحيث أصبح فيها القتال بين الكل والكل من أفذاذ الأمم المتحاربة في الموارد والمادية والمعنوية.

وقد كانت الحربان العالميتان ولا سيما الثانية منها نموذجين واضحين من نماذج الحروب الشاملة وازدادت ظاهرة الشمول الحربي في المعارك التي احتدمت بعد الحرب العالمية الثانية ولا سيما في حرب فيتنام ثم في الحروب العربية الاسرائيلية.

في ضوء هذه الواقعة التاريخية العسكرية تنوعت المعلومات التي يطلب من الجواسيس الحصول عليها من أرض العدو، ولذلك تنوعت اختصاصات الجواسيس بتنوع هذه المعلومات، وفيما يلي أهم قطاعات التجسّس التي يطلب من الجواسيس التعرف إليها ونقل المعلومات الخاصة بها إلى القيادات المسؤولة.

1) الجاسوسية العسكرية:

والمقصود بهذه الجاسوسية هو الحصول على المعلومات الخاصة بالقدرات التسليحية الواقعية عند العدو ثم القدرات الاحتمالية التي يمكن أن تقدم البدائل المطلوبة عن الأسلحة المعطوبة وقطع الغيار.

كما يقصد بها الحصول على المعلومات الخاصة بحجم القوات المسلحة، وطريقة توزيعها وأماكن تواجدها والطرق العسكرية المتوفرة في البلاد ودرجة الانضباط في صفوف القوات المسلحة وغيرها من الوقائع الخاصة بهذه القوات.

2) الجاسوسية الاقتصادية:

يترتب على الضرورة المسلحة لمعرفة القدرات العسكرية عند العدو معرفة القدرات الصناعية وما تتميز به من المرونة في تحويل إنتاجها من الإنتاج السلمي إلى الإنتاج العسكري، كما يترتب على ذلك معرفة الأوضاع الاقتصادية وتنوعها في ميادين الزراعة والتجارة والصناعة والتقدير الدقيق لقدرة البلاد العدوة على تحقيق الاكتفاء الذاتي في الجوانب الاقتصادية عامة والصناعية خاصة.

ويدخل في هذا التقدير التعرف إلى مصادر الطاقة في البلاد المعادية ومصادر المواد الخام من أنواع المعادن المختلفة بحيث يعرف عدد المناجم ومستودعات الوقود ومستودعات الحبوب وأنواع المواد التموينية الغذائية وتنظيمات الري في البلاد وطرق المواصلات التي يتم انتقال هذه المصادر فوقها، ومواطن المياه والمجاري المائية المختلفة بحيث يستطيع العاملون في دوائر جمع المعلومات في بلد ما تقديم الاقتراحات إلى الجهات المسؤولة لتحريك القوات الوطنية المسلحة في حالات الدفاع أو حالات الهجوم الوقائي.

3) الجاسوسية العلمية:

ثم تأتي في الأهمية جاسوسية جديدة كل الجد لم تكن معروفة من قبل، إنها الجاسوسية العلمية، والسبب في ذلك هو ظهور التكنولوجيا المتطورة التي كشفت عن دورها الكبير في تقرير مصير الحروب الناشبة بين الدول أو في الإعداد لمواجهة مفاجآت المستقبل.

والمواقع أنّ التكنولوجيا المتطورة ابتداء من أوائل هذا القرن العشريني قد كشفت عن قدرتها التي لا سابقة لها على تطوير الأجهزة القتالية تطويراً تضطر معه الدول إلى اللحاق بها و متابعة أحدث الإنجازات عنها.

وقد كشفت الوقائع عن الجهود التي بذلتها وتبذلها دول المعسكرات المتعادية ولا سيما دولتا العسكريين الكبيرين الرأسمالي والشيوعي في الولايات المتحدة والاتحاد السوفياتي وحتى الدول المتحالفة والصديقة، لقد كشفت التحقيقات عن وجود جواسيس علميين عند كل الأطراف يعمل كل منهم على نقل أحدث المعلومات العملية الخاصة بعلوم الذرة والأقمار الصناعية وسياسة غزو الفضاء والإنجازات التقنية المتعلقة بها، إلى الدوائر المختصة في بلاده.

والجدير بالذكر أنّ الصحافة العالمية والعربية والمحلية قد نشرت في أكثر من مناسبة أخباراً تتعلق بعلماء بريطانيين وأميريكيين أو برجال إعلام عديدين كانت مهمتهم حتى يوم افتضاحها لدى الدوائر المسؤولة نقل أحدث المعلومات الخاصة بالمنجزات العلمية إلى بلدان أجنبية ولا تزال معركة التجسّس العلمي الصامته محتدمة حتى اليوم وستبقى محتدمة في المستقبل القريب أو البعيد ما دام التنافس في ملكية الأسلحة المتطورة هو جوهر الأنشطة الدولية في العالم.

والملاحظ أنّ كل الجهود التي بذلت وتبذل لإزالة التوتر في العلاقات الدولية وللقضاء على ظاهرة فقدان الثقة لم تحل دون نهوض الدول القادرة على الاستزادة من السلاح وعلى متابعة أنشطتها للتجسّس على الدول الأخرى في الميدان العلمي بخاصة للحصول على الأسرار العلمية التي تحرص هذه الدول على كتمانها.

ولا عجب في أن تتخذ الدول هذه الخطة لأنّ مصير أي حرب قادمة سيكون مرتبطاً بإنجاز علمي يتيح لأحد الطرفين المتقاتلين فرصة أخذ المبادرة وحسم الموقف بفضل السرعة في استخدام السلاح المدمر أو بفضل استخدام السلاح الأكثر تطوراً، فالسرعة من ناحية والفعالية من ناحية أخرى هما الصفتان البارزتان والمميزتان للحروب القادمة كما كان الشأن بخاصة في الحرب العالمية الثانية.

ليس أدلّ على ذلك من أنّ استسلام اليابان في الثامن من شهر أغسطس عام 1945 م قد تم بسبب سبق الولايات المتحدة إلى اكتشاف سر القوة الذرية واستخدامها على صورة قنابل فوق سماء اليابان في كل من مدينتي هيروشيما وناغازاكي.

ولو لم تكتشف الولايات المتحدة سر استخدام هذه الطاقة الذرية وبالرغم من قدرتها الاقتصادية وإمكاناتها الصناعية التي تجاوز بها القدرات والامكانات البيانية، لما استطاعت أن ترغم اليابان على الاستسلام إلا بعد شهور كثيرة– وربما بعد سنوات – من قتال مرير ونزيف هائل للثروة البشرية والمصادر الاقتصادية الوطنية.

ولو أننا ألقينا نظرة سريعة على التسابق المتسارع العنيف بل اللاهث الذي اشتركت فيه دولتا المعسكرين الرأسمالي والشيوعي ومن ورائها الدول المتحالفة مع كل منها لتبين لنا أنّ هذا التسابق قد تم في ميدانين علميين رئيسين.

1) ميدان الأسلحة الذرية والهيدروجينية الذي سجلت فيه الولايات المتحدة سبقاً على الاتحاد السوفياتي عام 1945 فلم يلبث هذا الأخير أن ضاعف نشاطه العلمي وبث عيونه وحرص أعضاءه في الولايات المتحدة وبريطانيا على نقل الأسرار الذرية إليه ولم تمضي سنوات قليلة حتى حقق التوازن المطلوب في الساحة الدولية.

2) ميدان غزو الفضاء واطلاق الأقمار الصناعية الذي سجل فيه الاتحاد السوفياتي سبقاً على الولايات المتحدة حين أطلق أول قمر صناعي عام 1957، ثم أطلق بنجاح أول رجل فضاء (غاغارين) بعد ذلك بأعوام قليلة نهضت الولايات وبادرت إلى مضاعفة جهودها العلمية في هذا الميدان ووضعت خطة عشرية لا للحاق بالاتحاد السوفياتي وحسب بل لتجاوزه أيضاً وقد نجحت هذه الخطة عام 1969 عندما وطىء أول رجل فضاء أمريكي بقدميه أرض القمر.

وتحت تأثير هذا التنافس امتلأ الفضاء الخارجي قريباً من الكرة الأرضية أو بعيداً منها بالسفن الفضائية التي أريد بها استكشاف كواكب شمسية من قبل الزهرة والمريخ، وبالأقمار الصناعية التي تقوم بعمليات التجسّس دون أن يوفق الطرف الآخر إلى إسقاطها.

ولا تزال مباريات التنافس العلمي بكل ما تتضمنه من محاولات للحصول على إحدى المعلومات عند الأطراف المتنافسة، قائمة رغم سياسة الوفاق الدولي المعلنة من قبل الجميع والمؤتمرات التي تعقد لهذا الغرض.

هكذا أصبح العلم ركيزة من ركائز الدفاع الوطني ومصدراً من مصادر الاستعداد الاستراتيجي لدول العالم المعاصرة.

ميدان تجسّسي آخر:

لكن التجسّس في واقعه العصري لم يتخذ خطة الحصول على المعلومات العسكرية والاقتصادية والعلمية وحسب بل اتخذ خطة أخرى ذات طابع خاص لم يعرف التاريخ له سابقة من قبل، والسبب في حدة هذه الخطة يعود إلى المنجزات التكنولوجية وبصورة خاصة إلى أجهزة الاتصال المتطورة من صحافة وإذاعة وتليفزيون ومنشورات مكثفة.

صحيح أنّ ظاهرة الاتصال التي يقصد بها التأثير على نفوس الناس وأفكارهم كانت معروفة من قبل، وكانت تلعب دورها في العلاقات الدولية القديمة لكن دورها أن يتسم بالبطء الشديد فلا تظهر آثاره إلا بعد سنوات كثيرة أو ربما بعد جيل أو جيلين. لقد كان الحوار الفكري وبالتالي التأثير الإعلامي يتمّان بسبب الاختلاط

البطيء بين الشعوب والذي تحول دون تحقيق الغرض فيه حساسيات كثيرة تتصل بالدين والعادات والتقاليد وبخاصة العزلة المادية وافتقار الشعوب إلى أجهزة الاتصال الفعالة.

فقد كانت الرحلة إلى البلدان المجاورة أو البعيدة عملية متعبة لا يقوم بها غير القلة من الناس وبخاصة التجار الذين كانوا يحملون مع تجاراتهم عقائدهم وأفكارهم وعادات بلادهم وأزياءها وآدابها أيضاً.. كما أنّ الحوار عبر الحدود ورغم إرادة الدول لم يكن ممكناً بسبب افتقار الدول إلى أجهزة الاتصال المجاورة يستثنى من ذلك البلاد التي يجري احتلالها من قبل الجيوش الأجنبية التي تعمل معها ثقافات شعوبها وعاداتها وتقاليدها لكن تأثير هذه الجيوش والإدارات التي تلحق بها، كان ضعيفاً نسبياً.

تحولات جذرية

وبعد أن ظهرت الاتصال ابتداء من الصحافة المتطورة ثم الإذاعة والتليفزيون وتزايدت المنشورات المختلفة في المؤلفات الأدبية والفكرية وحدثت تحولات جذرية في طبيعة العلاقات الدولية وفي فعاليات التأثيرات المتبادلة بين الدول المختلفة وبالتالي بين النظم والثقافات التي تمثل كل دولة من هذه الدول. وقد أصبحت لكل دولة من الدول سياسة إعلامية خاصة تتعامل بها مع دول العالم وتخوض بها معارك عنيفة لتشرد الشعوب الأخرى إلى معسكرها مستعينة في ذلك بكل ما تملكه من إنجازات تكنولوجية وتقنيات متطورة وخبرات طويلة فهي تنتدب الدعة وتعمل على إنشاء مؤسسات ومراكز قوة ثقافية تحت أسماء مختلفة لأغراض سياسية واقتصادية وقد تكون عسكرية أيضاً.

معالم التجسّس الثقافي:

والجدير بالذكر أنّ وزارات الخارجية والمستعمرات في الدول المتقدمة قبل انتهاء عصر الاستعمار كانت تنتدب بعض المستشرقين لدراسة أوضاع البلاد المستعمرة والتعرف إلى أديانها وثقافاتها وعاداتها وتقاليدها ووضع التقارير التي تكشف عن الثغرات الموجودة عند هذه الشعوب محاولة بذلك التأثير على ثقة هذه الشعوب بتراثها الثقافي والتهوين من أهمية العقائد التي تؤمن بها على أمل أن يأتي يوم تفقد فيه هذه الشعوب قدرتها على تحقيق وحدتها الثقافية والحضارية.

في محاولات الاستعمار الفرنسي في الشمال الأفريقي الآية والعلامة على أهمية التجسّس الثقافي الذي كان يقوم به فقد استغلت الدوائر الاستعمارية ذات العلاقة الفروق اللغوية بين البربر والعرب ونشطت في خلق ولاءات ثقافية وبالتالي توعية بين الفريقين بحيث يصبح بأسها بينها شديداً.

والواقع أنّ الشعب العربي في الشمال الأفريقي قد واجه المتاعب الكثيرة لمقاومة هذا النشاط الإعلامي المدروس والموجه من قبل الدوائر الاستعمارية.

يضاف إلى ذلك أنّ خطة البحث عن الثغرات الثقافية والاجتزاء في تفسير النصوص وتأليف الشعارات الخاصة بتخلّف الثقافة الإسلامية بعامة واللغة العربية بخاصة قد تحولت إلى خطة لتغريب الناس في الشمال الإفريقي ولا سيما في الجزائر حيث خطت سياسة الفرنسة خطوات واسعة في عزل الجزائريين ثقافياً ولغوياً عن بقية البلاد العربية.

ولا ننسى في هذه المناسبة المحاولات الإعلامية النشيطة التي اتخذت لابتداع ولاءات قومية إقليمية أو شبه إقليمية في البلاد العربية حيث غذى الولاء الفرعوني في مصر والولاء القومي السوري أو الفينيقي في بلاد الشام بالإضافة إلى تنمية ولاءات ثقافية تتصل بالأقليات العنصرية وتهيئة الظروف المادية والسياسية لتقوية العناصر الداعية إلى هذه الولاءات الثقافية والقومية.

كل ذلك نشأ تحت تأثير المؤسسات الثقافية والإعلامية التي تستند إلى الدراسات الباحثة عن الثغرات الفكرية والأساليب التي يمكن أن تتضمن بها الخلافات الداخلية.

ميدان صراع ثقافي اجتماعي:

ومما يلفت النظر أنّ دول العالم الثالث قد واجهت منذ نهاية الحرب العالمية الثانية ولا سيما بعد يوم النكسة الذى أعلنت فيه دولة العدو الصهيوني تيارات إعلامية وأنشطة ثقافية وافدة من الخارج اصطرعت فيها دول المعسكرين الشرقي والغربي لزلزلة الثقة بالتراث الثقافي العربي الإسلامي وتسابقت في حسب الأنصار الأدباء والمفكرين والطلاب وطبقات أخرى من الشعب ليكون لكل منها موطىء قدم فوق التراب العربي والأطراف الوافدة كلها تسند إلى المعلومات والدراسات التي جمعتها مؤسسات وأشخاص يعملون لحسابها في مختلف بلدان العالم الثالث.

الوقاية من التجسّس

إنّ ما سبق من الفقرات يطرح أمامنا الخطوط الأساسية العامة لعمليات التجسّس في الميادين العسكرية والاقتصادية والصناعية والعلمية والثقافية، ومن الطبيعي أن تنهض كل دولة تتعرض لمخاطر هذه العمليات

لوضع الأسس واتخاذ الإجراءات التي تتم بها وقاية البلاد جيشاً واقتصاداً وصناعة وعلماً وثقافة من تأثيراتها التقريبية.

ولا سبيل إلى تحقيق هذه الوقاية إلا بعلميات التوعية الشاملة.

التوعية الشاملة: ومن الممكن تحقيق التوعية الوقائية الشاملة بخطوتين رئيسيتين:

الخطوة الأولى: هي حصر المواطن والمؤسسات التي تؤكد التجربة العلمية ضرورة حمايتها من تدخلات العناصر الأجنبية وأبعاد وقائعها عن العيون الغربية وفي وسعنا أن نحصر هذه المؤسسات والمواطن الوطنية فيما يلي:

1) الجيش.

2) المؤسسات الاقتصادية والصناعية.

3) المؤسسات الإعلامية بمعناها الواسع الذي يشتمل على الصحافة ووكالات الأنباء والإذاعة والتلفزيون ودور النشر وحتى مصادر الإشاعات المغرضة.

إنّ أهم ما يجب أن ينصرف إليه المسؤولون في قطاع الوقاية من التجسّس هو العمل على إبراز الأهمية الوطنية والقومية لكل مؤسسة من هذه المؤسسات بحيث يصبح كل مواطن مدركاً فداحة الخطر الذي قد يتعرض له هو شخصياً أو تتعرض له بلاده فيما إذا تساهل في الحفاظ على أسرار هذه المؤسسات بالتالي في الاستهتار بالمقدرات التي تتمثل فيها.

1) فالجيش هو درع البلاد والحصن الحصين الذي يستند الشعب إليه حينما يتعرض التراب الوطني لأي خطر خارجي. ولذلك فإنّ الانضباط والتكتم وصدق الولاء للقيم الوطنية والارتباط الدقيق بين الطبقات المتعددة لصفوف الجيش ابتداء من قاعدة الهرم العسكري حتى قمته هي الشروط الأساسية لسلامة الجيش الوطني.

أما الانضباط فهو يضمن وحدة التحري في الجيش وخضوع الجنود المطلق للأوامر التي تصدر إليهم، فبفقدان الانضباط تتخلخل البنية العسكرية وتواجه التحركات في الجيش متاعب وعراقيل لا سبيل إلى تلافي آثارها السيئة أمام الأخطار والمفاجأت المختلفة، إنّ بعض قوة الجيش وسلامته مشروط بالصف العسكري المتراص الذي يستحيل معه وجود ثغرة في الهيكلية الانضباطية.

وأما التكتم فهو الشرط الثاني والمهم للحفاظ على القدرة القتالية، وللحيلولة دون أن يعرف العدو مسبقاً التحركات التي تقوم بها الكتائب والأولوية العسكرية في أوقات السلم والحرب، وقد بلغ من حرص القياديين على سرية الأوامر والتحركات بحيث أنهم لا يأذنون في بعض الأوقات بمعرفة الأوامر المعطاة إلا قبيل التنفيذ بقليل ولنا فيما كان يفعله محمد صلى الله عليه وسلم الدليل على أهمية هذه السرية فقد أعطى قائد الحملة

الاستطلاعية ليوم "نخله" كتاباً أمره بأن يطلع عليه بعد يومين من مغادرته للمدينة المنورة لحرص الرسول صلى الله عليه وسلم على كتمان الغرض من تحرك هذه الحملة.

أما صدق الولاء للقيم الوطنية فهو شرط آخر للحفاظ على قوة الجيش وتدعيم وحدته فالجندية في رسالتها الحقيقية وجوهرها الخلقي ليست مصدر ارتزاق بل هي رسالة دينية ووطنية، الجندي يتدرب ويقاتل في صفوف جيشه الوطني لأنه يؤمن بأنّ مهمة هذا الجيش هي الدفاع عن حرية البلاد وسيادتها ومكافحة القوى التي تهدف إلى إفساد القيم والعقيدة ويكن إلتصاق الجندي بجيشه إلتصاق عقيدة وإيمان كما يكون ولاؤه له ولاء للقيم والمثل العليا التي يدين بها وتعتبرها مبرر وجوده كما يعتبرها جديرة بالتضحية بحياته.

وأما الارتباط الدقيق بين الطبقات المتعددة لصفوف الجيش ابتداء من قاعدته الهرمية حتى القمة فهو الحصيلة الضرورية للشروط الثلاثة السابقة التي أشرنا إليها قبل قليل. إنّ هذا الارتباط هو الذي يحول دون أن يكون لأي خطأ أو مؤثر نفسي أي فعالية في إضعاف الثقة بين طبقات الجيش المختلفة. ولنا في تروية حوليات التاريخ الإسلامي ما يؤكد أهمية الترابط بين الجندي والقائد مهما يكن نصيب كل منهما من التقدير العسكري، ومهما تكن الظروف التي يواجهها كل منهما في حياته العسكرية. فقد ثبت للمؤرخين صحة ما روي عن حادثة العزل التي وجه بها خالد بن الوليد رضي الله عنه وهو على رأس جيش اليرموك، فقد كتب أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه كتاباً إليه يؤدبه فيه بعزله عن القيادة ونقلها إلى أبي عبيدة بن الجراح رضي الله عنه وعندما تلقى خالد هذا الكتاب لم يجد فيما قرأه إهانة لشخصه، وبالتالي لم يجد فيه ما يبرر نقمته أو انسحابه من الجيش. كل ما حدث أنه أخفى هذا الخبر عن أبي عبيدة والجند خوفاً من حدوث ردة فعل سيئة باعتبار أنّ المعركة كانت في أبانها، فلما انتهت بانتصار الجيش الإسلامي أطلع أبا عبيدة على ما جاء في كتاب أمير المؤمنين ثم لم يجد ضيراً في متابعة القتال بصفة جندي عادي، وعندما سأله بعضهم عن سر هذا التصرف قال: "أنا لا أقاتل من أجل عمر بل من أجل رب عمر".

هكذا كان للارتباط الوثيق بين خالد القائد والجيش وبين خالد الجندي العادي والجيش الأثر القوي في الحفاظ على معنويات المجاهدين وبالتالي على قدراتهم القتالية.

2) أما المؤسسات العلمية أو مجالس البحوث بخاصة فإنّ إبراز الدور الكبير الذي تقوم به في تغذية البلاد بما تستخدمه من الاكتشافات وما تحققه من الإنجازات هو مطلب وطني وديني كبير بحيث يشعر كل مواطن عالم وكل عنصر من العناصر الباحثة أنّ مهمته الكبرى هي الحفاظ على أسرار البحوث التي يقوم بها والنتائج التي ينتهي إليها.

كما أنّ إبراز الأهمية العظمى لهذا القطاع الوطني للرأي العام يشد المواطنين على اختلاف الميادين التي ينشطون فيها إلى دور هذه المؤسسات بحيث يتعاطفون مع العاملين فيها ويهتمون بتطويرها وتقديم المساعدات المطلوبة لإنمائها وتشجيع الكفاءات العلمية الصالحة للالتحاق بها.

وإذا كانت بلادنا – الكويت – لا تزال في بداية المراحل العلمية فهذا لا يحول دون القيام بحملة إعلامية واسعة ومتكررة لتوثيق العلاقة بين أفراد الشعب وبين هذه المؤسسات والمجالس وبتعميق الولاء بين الباحثين وبين الأغراض الوطنية التي تهدف إليها الدولة من إقامة هذه المؤسسات والمجالس.

إنّ عملية التوعية هذه هي جزء من السياسة الوقائية التي تتخذ لحماية الأسرار العلمية عندما تدعو مصلحة البلاد إلى ذلك، اذ لا يمكن لأصحاب العلاقة أن يستجيبوا السياسة المكافحة التي سنتحدث عنها بعد قليل ما لم يدركوا الأهمية العظمى لهذا القطاع الوطني.

3) أما المؤسسات الاقتصادية والصناعية فهي تمثل كتلة الثروة الوطنية الكبرى. إنّ الصناعة اليوم وهي قطاع اقتصادي رئيسي في الدول المتقدمة قد استطاعت أن توفر لشعوبها فرصاً ذهبية للإنتاج الاقتصادي المتطور وبالتالي قدرة خاصة على خوض معركة التنافس الاقتصادي في الأسواق الداخلية والخارجية وقد تغيرت مصائر شعوب وتفاوتت أقدار دول بسبب الأهمية التي أعطيت للاقتصاد الصناعي بخاصة.

ولنا في مصائر دول كبيرة بعد الحرب العالمية الثانية ما يؤكد الدور الكبير الذي قام ويقوم به الاقتصاد الصناعي.

فهذه دولة اليابان التي خرجت مهزومة مفلسة من الحرب العالمية الثانية قد خربت مدنها وانهارت مصانعها وأصاب التضخم عملتها، لكن هذا كله لم يفتّ من عضدها ولم يحل دون أن تولي النهضة الشاملة كل اهتمامها ولا سيما النهضة الاقتصادية الصناعية فهي اليوم وبعد ثلث قرن فقط تتخذ لنفسها مكاناً في قمة الدول الصناعية ويقدر بعض الباحثين أنّ استمرار المسيرة اليابانية سيجعل منها الدولة الصناعية الأولى في العالم عند نهاية هذا القرن.

وما يقال عن اليابان يمكن أن يقال عن جمهورية ألمانيا الاتحادية الغربية، فقد خرجت هذه البلاد من الحرب العالمية الثانية مهزومة مفلسة أيضاً وهي اليوم تتربع في قمة الاقتصاد الصناعي العالمي.

على أنّ حداثة عهد الكويت بالاقتصاد الصناعي لا يقلل من أهمية هذا القطاع الوطني، فإنّ تعميق الارتباط بهذا القطاع يوضع خطة إعلامية واسعة وذكية مخلصة يضاعف من نموه ويشد المواطنين إليه ويحقق تعاطفاً شعبياً لتشجيع الخطط الموضوعية وتنفيذها في هذا القطاع الوطني.

4) أما المؤسسات الإعلامية بمعناها الواسع فهي في المدى الطويل أخطر المؤسسات الوطنية ذلك لأنها لا تتعامل مع المواد الخام ولا تتوجه إلى السلاح أو مواد الاقتصاد وسلعة بل تتوجه قبل كل شيء إلى عقل المواطن وروحه وتتعامل معهما بصورة عامة.

ولما كان المواطن الإنسان هو رأس المال الأول والأخطر في تصنيف الأولويات فمن الطبيعي أن تهتم السياسة الوقائية في البلاد به وأن تنصرف إلى إعداده الإعداد الذي يتعامل بفضله تعاملاً صحيحاً سليماً مع القطاعات الوطنية الأساسية التي أشرنا إليها في الفترات السابقة.

والجدير بالذكر أنّ الصعوبة الكبرى في التعامل مع عقل المواطن وروحه تزيد من أهمية القطاع الإعلامي أنّ تحقيق نهضة عسكرية أو اقتصادية أو علمية لا يحتاج إلا إلى بعض الجهد الذي يجب أن يبذل في قطاع النهضة الإعلامية.

وقد بلغ من إدراك الدول لأهمية الإعلام الوطني أنها خصصت بقدر وعيها بهذه الأهمية ميزانيات كبيرة لتشجيع الصحافة اليومية والدورية واهتمت اهتماماً خاصاً بالإذاعة والتليفزيون كما انصرفت إلى الإعداد التربوي وتشجيع الكفاءات الفكرية والفنية وحرصت على ربط القيم الدينية والخلقية والوطنية بهذا القطاع الخطير.

ويزيد من خطورة هذا القطاع أنّ الإنجازات التكنولوجية المتطورة أتاحت لكل دولة في العالم إمكانية الاتصال بشعوب الدول الأخرى دون أن تستأذن هذه الدول ودون أن تتجاوز حدودها الجغرافية، فهي قادرة عن طريق الإذاعة والتليفزيون أن تخاطب العقول في كل مكان وأن تمارس تأثيراتها الخاصة وأن تستغل خبراتها بهذه الشعوب عن طريق العلماء والدارسين من أبنائها لتشيع الخلخلة في العقائد والاضطراب في الأفكار والفساد في العادات والتقاليد.

يضاف إلى ذلك أنّ في وسع الدول القادرة، استغلال وكالات الأنباء والصحافة والكتاب والتقارير الموضوعة بحيث تحرر الخبر والمقالة وموضوعات الكتاب ومادة التقارير بالطريقة التي تحقق بها أغراضها العدوانية.

ومما يلفت النظر أنّ تأثير الخطط الإعلامية يتسلل في أكثر الأحيان إلى العقول والقلوب بخطوات بطيئة ولكنها ثابتة في ظل الحرية التي يتمتع بها الخبر ومن وراء الأفكار التي تنشر في ظل التقارير العلمية والإحصاءات والدراسات المزعومة في ميدان العلوم الإنسانية من فلسفة وفن وعلوم اجتماعية وإحصاءات هادفة تتصل بالعادات والتقاليد.

والجدير بالذكر أنّ المعركة الإعلامية تتزايد في فعاليتها وخطورتها بمرور الزمن، فقد أنشأت للإعلام كليات جامعية ومجالس بحوث ونظريات وكثر عدد المختصين في قطاعات الإعلام المختلفة حتى كاد يتألف منهم جيش

صغير في كل دولة من الدول بنسبة ما تملكه هذه الدولة من الخبرة والمعلومات الخاصة بالشعوب التي توجه إليها الرسائل الإعلامية وأجهزة الاتصال التكنولوجية.

إنّ أبراز الأهمية والخطورة للقطاع الإعلامي المتطور هو ضرورة وطنية أولية لاتخاذ سياسة وقائية محكمة من أخطار هذا القطاع.

والنجاح في عملية الإبراز هذه في حاجة إلى حملات إعلامية واسعة النطاق فبهذا النجاح تتم توعية المواطن وإعداده لمقاومة الأفكار والعادات والتقاليد وحتى الأزياء الوافدة.

وفيما يلي نورد نموذجاً من نماذج الخطر الإعلامي هو الإعلام الخاص بالميدان اللغوي.

إنّ إلقاء نظرة على التاريخ الحديث للدعوة إلى العامية يظهر للمواطن العربي الواعي الآثار الخطيرة التي ترتبت ولا تزال على هذه الدعوة.

لقد بدأت منذ أواخر القرن التاسع عشر على أساس أنّ اللغة العربية الفصحى قد أصبحت لغة مختلفة عن العصر وأنّ العامية هي لغة الحياة القادرة على مرافقة موكب الحضارة والتقدم.

وقد ظهر لهذه الدعوة أنصار كثيرون في مصر وفي بعض بلدان الشمال الأفريقي وفي بلاد الشام ولا سيما لبنان. وبالرغم من فشل هؤلاء الأنصار الدعاة عن سابق إصرار وتصميم أو بسبب انخداعهم فإنّ الإعلام المستمر لمقاومة اللغة العربية الفصحى والذي ترعاه وزارات الخارجية وإدارات الاستخبارات في عدد من الدول الأجنبية قد طرح العراقيل المباشرة وغير المباشرة أمام تعريب العلوم ومن قبل أيضاً أمام تعريب الثقافات العليا.

ولا تزال الجامعات والمعاهد العليا ومجالس البحوث والإدارات الكبرى حتى يومنا هذا ممتنعة عن القيام بحملة التعريب في ميدان العلوم بدعوى التعذر في نجاح هذه الحملة.

يبقى أن نشير إلى قطاع الإشاعة الذي يعتبر من أهم القطاعات التي تصنعها دوائر الاستخبارات الأجنبية ونطرحها في الأوساط الشعبية لتدعيم أغراضها السياسية والاقتصادية والصناعية والثقافية والعسكرية، والخطة الوقائية الوحيدة التي تؤدي إلى حماية المواطنين من أخطار الإشاعات المغرضة هي توعية المواطنين بأهمية تكذيب الأخبار الخاصة بكل مقدرات البلاد وانتظار الخبر الصحيح من الدوائر الوطنية المسؤولة ذات العلاقة.

ونحن هنا لا نزعم أنّ الوقاية في هذا الميدان أمر سهل يسير أنّ نجاحها يحتاج إلى خطة ذكية طويلة النفس تعتمد على الاستقصاء ويتم بها تشكيل العقول والقلوب تشكيلاً جديداً وتنمية ثقة المواطنين بالإعلام الوطني والقيادات الوطنية المسؤولة.

مكافحة التجسّس

أما المرحلة التي تتم فيها عمليات مكافحة التجسّس فهي المرحلة الثالثة التي تنصرف الدولة إليها وتعمل على تدعيم أساليبها من الناحيتين الرسمية والشعبية.

المكافحة الرسمية:

والمكافحة الرسمية التي تؤكد إليها المهمات الخاصة بمقاومة الجاسوسية هي التي تمثل القوة الوطنية الرائدة في هذا الميدان.

والجدير بالذكر أنّ مكافحة الجاسوسية قد ظهرت دائماً في إدارة المخابرات العسكرية التي تبث العيون في كل مكان وترصد التحركات الخاصة برجال ونساء ذوي علاقات مريبة أو اهتمامات تتصل بالنشاط العسكري وتسليحه ومناوراته وطرق تموينه والمناطق التي تتم فيها عمليات الحشد العسكري.

هذه المخابرات ذات صلاحيات واسعة وإمكانات كبيرة تستطيع معها أن تتحرك في كل مكان وتتميز تصرفاتها وتحركاتها بالسرية التامة وهي إدارة من إدارات الجيش المتعددة وهي مسؤولة مسؤولية مباشرة أمام القيادة العليا للقوات المسلحة.

يضاف إلى ما سبق أنّ المخابرات العسكرية تركز جهودها على حماية الجيش وعزله عن العيون المتجسسة عليه – باعتبار أنّ الجواسيس هم الخطر الأكبر الذي تتعرض له القوات المسلحة في البلاد.

وقد تمد المخابرات العسكرية عيونها وآذانها إلى خارج البلاد أما اللحاق بأثر من آثار الجواسيس أو للتعرف إلى ما تملكه قوات عسكرية في بلد أجنبي محتمل جداً ولأسباب استراتيجية أساسية أن يكون مصدر متاعب أو عدوان على الوطن.

إنّها تستقي المعلومات الخاصة بالقوى العسكرية والميادين الاقتصادية الصناعية كما تستقصي الأوضاع الخاصة بالظروف والمشكلات الأخلاقية والنفسية والاجتماعية وبتعبير آخر بالأوضاع الثقافية في البلاد الأجنبية.

وتقف مهمة المخابرات العسكرية عند حدود وضع التقارير وجمع المعلومات المطلوبة فيما يتعلق بالميادين الخارجية، أما في الميدان الداخلي فهي تراقب العناصر المريبة في الميدان العسكرية وتطاردها أو تشل نشاطها تبعاً للظروف وفي ضوء المصلحة العامة.

وهناك أيضاً أجهزة مخابرات تتصل بالأوضاع الأمنية الداخلية التي تعتبر هدفاً من الأهداف الهامة عند العدو.. فهي ترصد العناصر التي تكلف من قبل جهات أجنبية بمهمات تخريبية داخلية وتحاصرها ثم تقبض عليها أو تشل نشاطها في ضوء المصلحة الوطنية العامة وقد جرت العادة أن تكون هذه المخابرات بعيدة عن الجيش الوطني وأجهزته وربما جرى تبادل للمعلومات بين المخابرات الأولى والثانية.

والجدير بالذكر أنّ هناك علماء اختصاصيين في مختلف العلوم الإنسانية تستعين المخابرات بهم لتحليل بعض التصرفات أو توجيه حملات إعلامية مضادة لما يروج له الجواسيس المرسلون من قبل دولة أجنبية.

ومن أبرز الأمثلة وجود هذه المخابرات تلك التي نجدها في بلد كبير كالولايات المتحدة.. فهي ترسي دعائم الأمن في داخلها بواسطة منظمة استخبارية واسعة يطلق عليها اسم FBI مهمتها مراقبة ما يجري داخل البلاد والكشف عن العناصر التخريبية الخفية ووضع حد لتخريب الجاسوسية كما أنّ هناك منظمة أخرى يطلق عليها اسم CIA وهي واحدة من أوسع المنظمات العاملة في ميدان المخابرات، مهمتها الأساسية هي جمع الأخبار الخاصة بكل ميادين الحياة العامة في كل بلاد الأرض كما تهتم بدراسة كل العناصر القيادية التي تمسك بزمام الأمور في أي بلد من البلدان ودراسة العناصر المهيأة للقبض على زمام الأمور، وقد تتفاوت درجات الاهتمامات عندها وتختلف ميادين نشاطها تبعاً للظروف التي تقتضيها مصلحة الدولة الأميركية وهي تتمتع باستقلال كبير في إصدار القرارات والمبادرة إلى اتخاذ خطوات إجرائية أو وقائية أو هجومية، ويكون المسؤول عنها عضو في مجلس الأمن القومي الأميركي الذي يرأسه رئيس الجمهورية.

ولكي ندرك حجم هذه المنظمة والمهمات الاستخبارية التي تقوم بها نذكر أنّ ميزانيتها السنوية تتجاوز عشرة آلاف دولار أميركي.

المكافحة غير الرسمية:

أما الوجه الآخر للمكافحة التي تجري بها مقاومة الجواسيس العاملين لبلاد أجنبية فهو في الحقيقة وجه غامض الأبعاد ولكنه قوى التأثير ونشاطه يخضع للرقابة الذاتية ويتمثل على تفاوت في كل مواطن وفي كل مؤسسة من المؤسسات الاقتصادية والصناعية والثقافية والإعلامية أنّ الوعي الوطني العام الذي هو ظاهرة وقاية ومراقبة ذاتية، هو الذي يحبط الكثير من مناورات الجواسيس.

إنّ في وسع الجواسيس بما يملكونه من الحنكة والذكاء وأساليب الاستدراج ومتابعة الوقائع في خفاء وصمت أن يورطوا الكثير من المواطنين وأن يستعينوا بهم، على غير علم منهم، للحصول على المعلومات التي يريدونها، أما في الميدان العسكري أو الميادين المدنية، والمواطنون الذين يمكن أن يتورطوا بالكشف عن أسرار عسكرية أو صناعية أو علمية هم أصدقاء الضباط المقربون ثم العاملون في مؤسسات وطنية مهتمة والمتصلون بهم من المواطنين الصالحين رجالاً ونساء.

وخلاصة القول أنّ حماية الوطن من العيون الأجنبية تتصل بجبهة شعبية وطنية غير محددة الأبعاد وهي تستند في غالبيتها إلى وعي المواطنين وولائهم العميق لبلادهم وتكتمهم فيما يتعلق بأنشطتهم والإحساس القوي بأهمية الأخبار والوقائع التي تقضي المصلحة الوطنية العليا بإخفائها عن الأنظار والأسماع.

والمفروض أن يكون هناك نوع من التعاون الشديد غير المعلن بين هيئات المكافحة الرسمية للجاسوسية وبين كل المواطنين في البلاد العاملين في كل ميادين الإنتاج الوطني.

مكافحة التخريب الثقافي:

والجدير بالذكر أنّ الأخبار والوقائع التي يحرص العدو على جمعها وتحليلها والخاصة بالوضع الثقافي ومقوماته في الوطن ذات أهمية خاصة للحملات الإعلامية المعلنة أو التي تنشط في سرية وخفاء إلى خلق خلخلة في البنية الثقافية بطريقة غير مباشرة وبالتالي الهادفة إلى خلطة الصف الوطني.

والواقع أنّ هذا القطاع من القطاعات الوطنية ذو خطر غير عادي والمخابرات الأجنبية هي التي تقوم لجمع المعلومات منه أو تشجع على جمعها ثم تصنعها وتحللها وتعقد المقارنات بينها مستعينة بالاختصاصيين من الخبراء والعلماء لتنظيم حملات وتنفيذ خطط ظاهرة أو خفية يقصد بها أضعاف روح المقاومة في البلاد ذات العلاقة.

ومن الممكن إرساء جبهة المكافحة هذه فوق قاعدة شعبية عريضة تتميز بالولاء الوطني والديني والحرص على تنمية التراث الثقافي ومقاومة الأفكار والنظم والعادات التي توهن من شأن هذه التنمية وذلك الولاء. كما يتم إرساؤها بربط النهضة القومية ربطاً عضوياً بالتراث الثقافي وفي قمته عندنا يأتي الولاء للعقيدة الدينية ولقيم الحرية والسيادة الوطنيين والعمل على بناء المستقبل انطلاقاً من القيم الثقافية التراثية في البلاد.

وها أنتم أيها الشباب وقد انضميتم في مسيرة التربية العسكرية وانصرفتم إلى تلقي المعلومات الخاصة بشؤون الدفاع الوطني، تجدون أنفسكم في صميم الجبهة المكافحة لكل أنواع الجاسوسية والهجمات الإعلامية المخربة التي يراد بها تشويه التراث وإضعاف الثقة بالوطن وخلخلة ظاهرة التعاون في الصفوف الوطنية والعمل على تشويش العقول وإشاعة الشكوى والريب في القلوب ناهيك عن الميادين العسكرية والاقتصادية والعلمية والصناعية بخاصة.

إنّ أساليب الجاسوسية في ميادين جمع المعلومات وتنظيم الحملات ضد مصادر القوة المادية والولاء الوطني لا يمكن أن تحصر..

ولا سبيل إلى مكافحتها إلا بالتوعية العامة، وتعميق الولاء الوطني، وتدعيم التعلق بالتراث الثقافي والعقيدة الدينية وليس هذا بالأمر اليسير.